المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد: 01 (2022)، ص321-341

محدثو المغرب الأوسط بين تقصي الرواية وبراعة الدراية من نهاية الفتح إلى نهاية القرن السادس الهجري /12م

The central Maghreb's Hadith tellers between the Detective Hadith and the Ingenuity of know, how from the end of conquest until the end of Sixth century AH (12th AD)

أيوب معزوز
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
ayoub.mazouz@univ-alg2.dz

معلومات المقال
تاريخ الارسال:
2022/01/02
تاريخ القبول:
2022/05/31
الكلمات المفتاحية:
✓ المغرب الأوسط
✓ تاريخ رواة الحديث
✓ الإسناد
✓ علم مصطلح الحديث

الملخص:
فرض علم الحديث وجوده ضمن العلوم النقلية بالمغرب الأوسط منذ القرون الأولى، وباعتبار الحديث النبوي ثاني مصدر للتشريع؛ وشارحا وموضحا للقرآن الكريم، فإن نصوصه دخلت المغرب الأوسط مع الفاتحين، وفي ظل تغير الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي– ومعها مختلف جوانب الحياة من ثقافة واقتصاد وعادات... فإن تأثير ذلك مس علم الحديث والمحدثين، سيما من الناحية المنهجية، حيث ظهرت آثار مراحل تبلور علم الحديث، من نصوص تشريعية إلى علم مستقل، على مؤلفات محدثي المغرب الأوسط.

Article info
Received:
02/01/2022
Accepted:
31/05/2022
Key words:
✓ Central Maghreb.
✓ History of Hadith narrator
✓ Transmission
✓ Hadith hearsay

Abstract:
The science of hadith established itself among the transmitted sciences in Maghreb. these texts, came to the Maghreb with the early conquests led by prophet companions. Due to the unstable situation and the change in politics and the different aspects of life, their impact could reach the science of hadith and hadith tellers, especially as far as methodology, with the appearance of traces related to sciences in the books of hadith tellers in central Maghreb.

مقدمة

تمتع المغرب الأوسط بدولة مستقلة على المذهب السني خلال عهد الحماديين (408-547هـ /1018-1152م) الذين أقروا المذهب المالكي وعقيدته السنية[1]، ومع وقوع المغرب الأوسط تحت السيطرة الكاملة أو شبه الكلية للموحدين[2] (524-668هـ/1128-1269م)، سعى هؤلاء إلى فرض مذهب جديد يمزج بين الظاهرية والاجتهاد[3] ويقصى فقهاء المالكية فعاد التحول المذهبي للظهور لكن بدرجة أقل من السابق حيث التزم الفقهاء والمحدثون بمذهبهم المالكي ومنهجهم السني رغم محاولة السلطة السياسية فرض مذهبها، وهذا ما يبرز من خلال المؤلفات وعديد المواقف والمناظرات التي وقعت للفقهاء المالكية على غرار الفقيه أبي زكريا الزواوي (ت611هـ)[4] المقيم ببجاية والذي ألّف كتاب "**حجة الأيام وقدوة الأنام**" ينتقد فيه ابن حزم، فذاع ذلك، مما جعل الخليفة الموحدي أبا يوسف يعقوب المنصور يستدعيه إلى مراكش ويعقد مجلسا علميا لدراسة القضية[5].

تجعلنا إشكالية رحلة العلماء[6] وانتقالهم بين حواضر المغرب الإسلامي، نقف حيارى أمام القطع بنسبتهم إلى أحد هذه الأصقاع، خصوصا وأن لكل من المولد والنشأة، ومرحلة الطلب والرحلة، ثم التدريس، والوظيفة – إن حصلت – وصولا إلى الوفاة، تأثير بارز وكبير على مكانة المحدث وانتمائه، فهذا أحمد بن نصر الداودي التلمساني[7] (ت402هـ) الذي يعتبر أول شارح لصحيح البخاري[8]، يُشتهر بكونه من أعلام طرابلس الغرب، أما ابن قرقول الحمزي الوهراني[9] (ت569هـ) يولد وينشأ بالأندلس ويذيع صيته بكتابه "**مطالع الأنوار على صحاح الآثار**" لكنه يصنف من علماء فاس... ونموذج ثالث هو عبد الحق الإشبيلي[10] (ت581هـ/1185م) الأندلسي المولد والنشأة، البجائي التأثير والوفاة، إلا أن مؤرخ بجاية وفقيهها يعتبره من أقطاب بجاية حيث يقول: "**اشتهرت كتبه بالمشرق ووقع النقل منها، ونقل عنه صاحب الجواهر الثمينة... وقال عبد الحق البجائي... وإنما نسبه إلى بجاية لاستيطانه بها وظهور حاله وتصانيفه فيها**"[11]. في هذه المقالة سأتناول دور وجهود محدثي المغرب الأوسط في علم الحديث روايةً ودرايةً، **وإلى أي منهما كان ميلهم أكثر؟ وما مدى مساهمتهم في تجديد وتبلور هذا العلم؟ وعليه: ما تأثير ذلك على الطبقة المثقفة وعموم الناس؟** وهذا في دراسة مقارنة وفق المنهج التاريخي، ومستعينا بالمنهج الإحصائي لأجل جرد وتوثيق الإنتاج الحديثي والأمهات المتداولة تأليفًا وشرحًا وإجازةً، بالمغرب الأوسط منذ نهاية الفتح وإلى غاية نهاية القرن السادس الهجري، من خلال ما توفر لدينا من التراث الحديثي الذي خلفه أولئك المحدثون، أوعن طريق ما كُتب حوله أو حول مؤلفيه في كتب الفهارس والبرامج، والرجال، وشروح الحديث، وهنا تكمن صعوبة هذا العمل حيث تستحيل الإحاطة بكل جوانبه، خصوصا وأن أغلبه مفقود.

1.الرواية والدراية مفاهيم وضوابط

1.1. من الحديث النبوي الشريف إلى علم الحديث

قبل الكلام عن علم الحديث رواية ودراية لابد من تعريف أصل هذا العلم؛ وهو السنة النبوية أو الحديث الشريف، حيث تختلف التعريفات لدى العلماء والباحثين حسب التخصص والهدف من الدراسة[12]؛ فهي عند

المفسرين: وحي يُفهم به القرآن الكريم وتُبين به أحكام الدين، وهذا بناء على نصوص عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [13]، وقوله –عليه الصلاة والسلام–: (**أَلَا وَإِنِي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**)[14]؛ أما في مجال أصول الفقه والقواعد الفقهية : فهي "**ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير**"، وربما شملت ما أُثر عن الصحابة رضي الله عنهم؛ وفي عرف الفقهاء ترادف السنةُ المستحبَ، أي "**ما يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه**"؛ ولدى جمهور المحدثين هي: "**ما يقابل البدعة**" فيقال فلان على السنة إذا كانت أعماله وتصرفاته الدينية وفق ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وفي عرفهم أيضا: أهل الحديث هم أهل السنة والجماعة ومن كان على معتقد السلف، كما أنها تشمل عندهم: صفاته الحميدة وأخلاقه الكريمة وسيرته العطرة؛ ويمكن أن تشمل "**ما كان معروفا به –صلى الله عليه وسلم– بين قومه، حتى قبل مبعثه**"، وفي هذه الجزئية، يتفقون مع علماء السير والمناقب.

من المعلوم أن النبي ﷺ كان قد نهى عن كتابة الأحاديث خشية أن تختلط مع القرآن الكريم[15]، فقال: "**لا تَكْتُبُواْ عَنِي غَيْرَ الْقُرْآنِ**"[16]،ثم رخص لذلك بقوله: "**قَيِدُواْ الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ**"[17]، إلى أن أمر عمر بن عبد العزيز (99–101هـ) بالتدوين الرسمي للأحاديث[18]، لكن ظهور علم الحديث كعلم مستقل له قواعده ومنهجه وأصوله كان –حسب أغلب الباحثين– في نهاية القرن الثاني للهجرة أي مع ظهور أول كتاب يجمع بين دفتيه أحاديثَ نبويةً، وهذا بتأليف الإمام مالك ابن أنس الأصبحي (ت179هـ) كتابه "**الموطأ**" حيث لقب بأمير المؤمنين في الحديث، ورغم ظهور أمهات الكتب الحديثية بعده كالكتب الستة، إلا أنها تميزت بجمع النصوص الحديثية بأسانيد متفاوتة في درجة الصحة.

أما أول كتاب يؤصل لقواعد علم الحديث فهو "**المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**" لابن خلاد (المعروف بالرامهرمزي ت 360هـ)، وتلاه الحاكم النيسابوري (ت405هـ) بتأليفه "**معرفة علوم الحديث**"[19]، ثم ابن الصلاح (ت643هـ) صاحب "**المقدمة في علوم الحديث**" والذي صار عمدة المتأخرين فشرحوه واختصروه ونظموه... ومن بين من اعتنى به: النووي (676هـ) في "**التقريب**" وابن كثير (ت774هـ) والذهبي (ت778هـ) والحافظ العراقي (ت806هـ)، وابن حجر العسقلاني (852هـ) "**بنُخْبَة الفِكَرْ**" ثم "**نزهة النظر**"، والسيوطي (ت911هـ)... وغيرهم ممن توالت مؤلفاتهم ومساهماتهم في خدمة هذا العلم، والتي أدت بتكاملها وتراكم فوائدها إلى ظهور علم الحديث بصورته التي نعرفها[20].

بعد هذه المقدمة الوجيزة حول تطور علم الحديث نأتي إلى تعريف هذا الفن الذي يقول فيه ابن خلدون: "**وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة**"[21]، ويقول السيوطي في تدريب الراوي: "**يتناول علم الحديث أنواعا كثيرة ربما لا تعد**"[22] ونقل عن الحازمي أنها تبلغ المائة، كل نوع منها علم مستقل"[23]، وتنحصر هذه الأقسام أو الأنواع في قسمين رئيسيين هما علم الحديث دراية وعلم الحديث رواية.

2.1.علم الحديث رواية ودراية

يُعرَفُ علم الحديث روايةً على أنه العلم الذي يُتوصل من خلاله إلى معرفة درجة الأحاديث صحة وضعفا وثبوتا ونفيا، يقول حاجي خليفة[24]: "**هو علم يبحث في كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام من حيث رواتها ضبطا وعدالة ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا... وقد اشتهر بعلم أصول الحديث...**". وينقسم بدوره إلى قسمين: علم مصطلح الحديث، وعلم تخريج الحديث[25].

أما علم الحديث دراية فهو: فهم الحديث وعقلُه، من باب درى الشيء إذا عرفه وتدبره، يقول حاجي خليفة[26]: "**وهو علم باحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث والمعنى المراد منها... وموضوعه أحاديث الرسول ﷺ من حيث دلالتها على المعنى المفهوم أو المراد...**". وينقسم بدوره إلى قسمين هما: علم متون الحديث (أو فقه الحديث)، وعلم شروح الحديث[27].

يظهر من هذه التعريفات ترابط أقسام علم الحديث، حيث يختص قسم بنصوص الأحاديث والآخر برواته وأحوالهم، ثم كثر التصنيف وتفرق علماء الحديث وكثرت العلوم المتعلقة به إلى أن انطوت جميعا تحت اسم واحد وهو علوم الحديث[28].

3.1.تعريف المحدث ودرجاته

المحدث لغةً: اسم فاعل من التحديث، بمعنى: نَقْلُ الحديثِ وإسْماعُهُ للطلبةِ، وفي الاصطلاح: يعرفه السيوطي بأنه: "**مَنْ عَرَفَ الْأَسَانِيدَ وَالْعِلَلَ، وَأَسْمَاءَ الرِّجَالِ وَالْعَالِيَ وَالنَّازِلَ، وَحَفِظَ مَعَ ذَلِكَ جُمْلَةً مُسْتَكْثَرَةً مِنَ الْمُتُونِ، وَسَمِعَ الْكُتُبَ السِّتَّةَ، وَمُسْنَدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَسُنَنَ الْبَيْهَقِيِّ، وَمُعْجَمَ الطَّبَرَانِيِّ، وَضَمَّ إِلَى هَذَا الْقَدْرِ أَلْفَ جُزْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْحَدِيثِيَّةِ. هَذَا أَقَلُّ دَرَجَاتِهِ، فَإِذَا سَمِعَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَكَتَبَ الطِّبَاقَ وَدَارَ عَلَى الشُّيُوخِ وَتَكَلَّمَ فِي الْعِلَلِ وَالْوَفَيَاتِ وَالْمَسَانِيدِ كَانَ فِي أَوَّلِ دَرَجَاتِ الْمُحَدِّثِينَ...أَمَّا الْفُقَهَاءُ فَاسْمُ الْمُحَدِّثِ عِنْدَهُمْ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَنْ حَفِظَ مَتْنَ الْحَدِيثِ، وَعَلِمَ عَدَالَةَ رِجَالِهِ وَجَرْحَهَا، دُونَ الْمُقْتَصِرِ عَلَى السَّمَاعِ**"[29]، وقال الحافظ ابن حجر: "**قيلَ لمَن يشتغلُ بالتَّواريخِ وما شاكَلَها الإخباريُّ، ولمن يشتغلُ بالسُّنَّةِ النبويَّةِ المُحَدِّثَ**"[30]، ويشترط السخاوي أن يكون المحدث" **كَتَبَ، وَقَرَأَ، وَسَمِعَ، وَوَعَى، وَرَحَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى، وَحَصَّلَ أُصُولًا وَعَلَّقَ فُرُوعًا مِنْ كُتُبِ الْمَسَانِيدِ وَالْعِلَلِ...**"[31].

من خلال هذه التعريفات المختارة يبدو أن تعريف المحدث يختلف باختلاف كل عصر، وحسب شروط العلماء المتخصصين في الرواية والجرح والتعديل، وإذا حاولنا ضبط تعريف اصطلاحي يجمع ما سبق، يمكن القول إن المحدث هو: من اشتغل بالحديث روايةً ودرايةً، وجمْعَ رُواةٍ، واطلع على كثير من الرواة والروايات، وتميز في ذلك حتى عُرف فيه حظه، واشتُهر فيه ضبطه[32].

وهذا المعنى العام هو ما سأعتمده في تحديد وتصنيف محدثي المغرب الأوسط الذين ستشملهم الدراسة في هذه المقالة.

ويقسم العلماءُ والباحثون المحدثين إلى درجات: أولها المُسْنِدُ وهو: "**من يروي الحديث بإسناده، سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلاَّ مُجَرَّدَ روايته؛ وَالمُحَدِّثُ: أرفع منه بحيث عَرَفَ الأسانيد والعِلَلَ، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحَفِظَ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون؛ أما الحافظ فهو أعلاهم درجةً وأرفعهم مقاما، فمن صفاته أنْ يكون عارفاً بسُنن رسول الله ﷺ، بصيراً بطرقها، مُمَيِّزاً لأسانيدها، يحفظ منها ما أجمع أهل المعرفة على صِحَّتِهِ، وما اختلفوا فيه للاجتهاد في حال نقلته**"[33]. بالإضافة إلى الحاكم، والحجة، وأمير المؤمنين في الحديث.

2. انتقال علم الحديث إلى المغرب الأوسط

إن استقراء التعريفات والتفريعات السابقة ووضعها في سياقها التاريخي، ثم إسقاطها على مراحل تطور علم الحديث، ومن ثَمَ مقارنتُها مع الإنتاج الحديثي ببلاد المغرب؛ يبين لنا جليا أن هذا العلم دخل عبر مراحل كان مستهلها مع الصحابة الفاتحين في شكل نصوص تشريعية دعوية، ثم ما لبث أن أخذ في التبلور من خلال المؤلفات الآتي ذكرها.

1.2 نشأة علم الحديث بالمغرب الأوسط

لا جدل أن عددا كبيرا من الصحابة[34] رضي الله عنهم دخلوا إفريقية مع طلائع الفاتحين فقد كانوا قادة وجنودا، وفي نفس الوقت علماء ومحدثين يحفظون القرآن ويروون الأحاديث ويسمعونها ويحدثون بها ويبلغونها إلى غيرهم[35]؛ ومع بناء المدن واستقرار الإسلام أخذت المراكز العلمية تظهر، والمؤسسات التعليمية من مساجد وكتاتيب تبنى، وقام الفاتحون من الصحابة والتابعين بنشر العلم[36]، وينبغي في هذا المقام التفريق بين دخول الأحاديث النبوية منذ مرحلة الفتح، وبين دخول أمهات الكتب الحديثية أي بعد استقلال هذا العلم عن القرآن الكريم والفقه.

يمكن ربط تطور علم الحديث بأقطار المغرب الإسلامي مع التطور العمراني والاستقرار البشري، أي التمدن والتمصير حيث أن المدن أو الحواضر التي كان لها السبق في بناء المؤسسات التعليمية من مساجد وكتاتيب وغيرها نالت حظا وافرا من العلم بمختلف فروعه، وهكذا نجد أن إفريقية والقيروان دخلها عدد كبير من الصحابة[37] . مقارنة بالمغرب الأدنى والمغرب الأقصى، بينما لم تحض الأندلس على الأرجح بفاتح من الصحابة، كما أن مساجد وكتاتيب المغرب الأدنى أقدم تأسيسا وأبرز تأثيرا من مثيلاتها في باقي بلاد المغرب، بالإضافة إلى عوامل أخرى على رأسها كون القيروان وإفريقية مركزا للولاية، خاصة خلال فترة إسماعيل بن أبي المهاجر[38] التي ترسخ فيها الإسلام بالمنطقة حيث كان الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) حريصا على إسلام بقية البربر وتعليمهم شعائر الدين[39]، فقام بإرسال بعثة الفقهاء العشرة التي كان لها أثر كبير في تعليم أهل المغرب وترسيخ الإسلام وشعائره بينهم[40]، وبواسطتهم انتقلت التيارات الثقافية من المشرق إلى المغرب فانتشر علم المدينة ومذهب المدنيين[41]... ولا شك أنهم نشروا الحديث النبوي إلى جانب الفقه وتعاليم الدين.

وإذا تأملنا في تراجم أعلام المغرب الراحلين إلى المشرق لأخذ العلم والرواية نجد أن قصب السبق كان لخالد بن أبي عمران التونسي (ت حوالي 126هـ)[42] الذي التقى أشهر التابعين وعددا من أتباعهم مثل سالم بن عبد الله بن عمر، وأغلب الفقهاء السبعة، ويعتبر حسب أبي العرب التميمي أول الراحلين من المغرب "**من أجل الاستفادة وتوسيع المعارف شأن المحدثين المتبوئين للصدارة**"[43]؛ كما رحل عبد الرحمن بن زياد الإفريقي المعافري (ت حوالي 161هـ) والذي روى عن جماعة من التابعين كسفيان الثوري، ويعد علي بن زياد التونسي (ت183هـ) أول من أدخل الموطأ إلى افريقية حيث التقى الإمام مالكا وروى عنه[44]؛ وبعد هؤلاء توالت دفعات الراحلين[45] كأسد ابن الفرات (ت213هـ) وسحنون بن سعيد (ت240هـ) وابنه محمد (ت256هـ).

حاز المغاربة قصب السبق أيضا في رواية صحيح مسلم عن طريق أبي محمد أحمد بن علي القلانسي، قال القاضي عياض: "**لم يصل إلى هذه البلاد كتاب مسلم إلا من طريقَي: القلانسي وابن سفيان**"[46]، ويعلل التجيبي تفضيل "**أهل المغرب صحيح مسلم على صحيح البخاري... لأنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مسرودًا غير ممزج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندها أهل الوصف المشروط في الصحيح، وأيضًا فإن مسلمًا قد اختص بجمع طرق الحديث في مكان واحد...**"[47]، وقال ابن الصلاح: "**وقعت روايته عند أهل المغرب ولم أجد له ذكرا عند غيرهم**"[48]؛ وتظهر عناية المغاربة بهذا العلم من خلال إدخال المصنفات الحديثية، والقيام على شرحها وتنقيحها[49].

2. 2. حواضر المغرب الأوسط تحتضن رواة الحديث

بالعودة إلى المغرب الأوسط- لابد أن نشير -أولا- إلى دخول علم الحديث وانتشاره قبل الكلام عن الرواية والدراية، ويكمن الجواب في إشارات ترد بالمصادر المتقدمة من خلال تراجم لأعلام نشروا الحديث في المغرب الأوسط، أو علماء وطلبة ارتحلوا منه نحو المشرق، أو انتشار مؤلفات حديثية بحواضره ومدارسه، وهذا ما يتطلب استقراء عميقا لهذه النصوص ومقارنتها بتطور علم الحديث مشرقا ومغربا، وترجع أول هذه الإشارات - حسب اطلاعي إلى تيهرت التي شهدت تأسيس أقدم دولة مستقلة عن المشرق- فتحولت إلى حاضرة مهمة من حواضر المغرب الإسلامي بعد أن اتخذها الرستميون عاصمة لهم، حيث بلغت من الحضارة مكانة مرموقة، وشجع أمراؤها الناس على طلب العلم، فكثرت المراكز العلمية وقامت فيها نهضة فكرية على عهدهم[50]، واتسعت علاقاتها الخارجية سياسيا واقتصاديا وثقافيا لتشمل المشرق والمغرب والأندلس، ورغم ملاحظة بعض الباحثين عدم اهتمام علماء الإباضية بالحديث وتدوينه[51]، لكننا نعتقد أن هناك إشارات قاطعة في بعض مصادرهم تتكلم عن ثلة من المحدثين، فالشماخي يورد في "**سيره**" سلسلة من العلماء في شكل سند يتصل إلى الرسول ﷺ[52]، ويضيف د. إبراهيم بحاز أن مسند الربيع بن حبيب -وهو عمدة الإباضية في الحديث وفقهه- كان معروفا لدى علماء المغرب في هذه الفترة، إلا أنه لم يتسرب إلى تيهرت بسرعة على الرغم من كثافة العلاقات بين إباضية المغرب وإباضية المشرق، وبين الربيع بن حبيب نفسه وبين الإمام عبد الوهاب (168-188هـ)[53]، بيد أن الفراغ

في تأليف مصنفات الحديث في تيهرت الرستمية لا يعني انعدام المحدثين في هذه الفترة[54] فقد ألف عمروس بن فتح كتابا "**يفرز فيه مسائل النص ومسائل السنة ورأي المسلمين**"[55]وهذا ما نستشفه من المقارنة التي أشرت إليه سابقا بين تاريخ تدوين هذه المصنفات ومرحلة اختلاط نصوص الحديث بالفقه والتفسير، وعدم تبلور علم الحديث كفن مستقل.

كما تذكر المصادر عددا من العلماء الذين اشتغلوا برواية الحديث أمثال بكر بن حماد التاهرتي (ت295هـ)[56] الذي سمع –قبل رحلته إلى المشرق– بالقيروان من سحنون بن سعيد وآخرين، ووثقه عدد من المحدثين والعلماء[57]، وكتب بالبصرة عن مسدد بن مسرهد مسنده ورواه بتيهرت، وأخذه عنه عدد من الطلبة الذين ستذكرهم مصادر الطبقات والرجال في عداد كبار محدثي وعلماء المغرب كقاسم بن أصبغ ومحمد بن صالح الأندلسيين، وابنه عبد الرحمن بن حماد، وقاسم بن عبد الرحمن التاهرتي[58]، وأبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي البزار... وغيرهم[59]، وهو من شيوخ الحافظ ابن عبد البر الذي روى حوالي أربعين حديثا أغلبها من طريق قاسم بن أصبغ عنه عن مسدد[60]، كما ذكره ونقل أشعاره عدد من العلماء والمحدثين[61]، ومنه يمكن القول بأن دخول بكر بن حماد إلى تاهرت يمثل "**دخول المصنفات الحديثية والتيار الحديثي إلى تاهرت، باعتبار سلوكه هذا الطريق كما مثل ذلك التقارب الذي كان بين السنة والإباضية**"[62].

إلى جانب تيهرت ازدهرت مدن المغرب الأوسط كورجلان والقلعة وأشير وبجاية وبونة وتلمسان[63]... عبر مراحل تاريخها الوسيط في ظل تعاقب دول المغرب الإسلامي على حكمها: "**حيث تنافست حواضر المغرب والأندلس على استقطاب أساتذة العلم وطلاب المعرفة الذين أسهموا في رسم معالم مشهد ثقافي فكري اتسم بالثراء والتنوع وأصالة العطاء العلمي الأدبي... وأصالة الطرائق والمناهج ورواج الكتابة والتأليف**"[64]. فلمع بها علماء في العلوم النقلية والعقلية "**يقصدهم طلاب العلم من الأندلس ومن البلاد المغربية الأخرى وكانت لبعضهم شهرة على امتداد العالم الإسلامي كما أن البعض من هؤلاء رحل إلى بلدان أخرى في العالم الإسلامي وكانت لهم شهرة بها**"[65]. يصعب حصرهم وتناول كل مدينة على حدى، نظرا لطول المدة الزمنية وتداخل أدوار هذه المدن في ظل أنظمة سياسية متنوعة ومتعددة، وحسبنا الاطلاع على برامج شيوخ محدثي المغرب الأوسط ضمن كتب الفهارس والبرامج والتراجم والطبقات لنستشف مدى ثراء البيئة الثقافية للمغرب الأوسط بالرواة والمحدثين ذووا السند العالي، وحسبنا توصيف الغبريني لعصره إذ يقول: "... **وقد مضى من قول الشيخ أبي علي المسيلي:... أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ما منهم من يعرف أبا علي المسيلي من يكون، وإذا كان من المفتين تسعون فكم يكون من المحدثين ومن النحاة والأدباء وغيرهم ممن تقدم عصرهم ممن لم يدركه، كان الناس على اجتهاد، وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد...**"[66].

في المبحث الموالي سأسجل وأصنف ما ألفه محدثو المغرب الأوسط، أو ما اشتهروا به من بين أنواع علوم الحديث[67]؛ مع التنبيه إلى أن التخصص لم يكن سمة بارزة عند أغلبهم نظرا لتداخل العلوم النقلية من جهة وإتقانهم لمعظمها من جهة أخرى[68]، وأن لهؤلاء المحدثين شيوخا وأساتذة رووا عنهم، أو أجازوهم؛ ممن لم يشتهر

بمصنفات حديثية أو لم نعثر له على ترجمة وافية تتضمن إنتاجه الحديثي؛ ونفس الأمر بالنسبة لتلامذتهم ومن أخذ عنهم سماعا أو إجازة[69]، كما يلاحظ أن كثيرا من هؤلاء "**كانوا مقلين في الإنتاج الفكري المدون بل يعتمدون على تكوين التلاميذ والتعليم الشفهي ويكتفي كثير منهم بالرواية عن غيره...**"[70]:

3. جهود علماء المغرب الأوسط في علم الحديث

3. 1. البوادر الأولى

قبل تشكل المجال السياسي للمغرب الأوسط –حسب ما اصطلح عليه الباحثون المعاصرون– واكتمال حدوده الجغرافية، ظهرت مجهودات في علم الحديث يمكن تسميتها بالبوادر الأولى حيث اشتهر عدد من المحدثين يجمعهم الانتماء الجغرافي للمغرب الأوسط مولدا، أو نشأة وطلبا للعلم، أو تدريسا وتعليما، وأقدم محدث ورد في المصادر هو بكر بن حماد التاهرتي (ت296هـ) والذي روى عدد من المغاربة كسحنون، وعن عدد من المشارقة كمسدد بن مسرهد وأبو حاتم السجستاني وروى عنه كثيرون منهم ابن عبد البر وقاسم بن أصبغ[71].

يعتبر الفضل بن سلمة البجائي[72] (ت319هـ) من أوقف الناس على الروايات وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك وأقرأ ودرس بالجامع من بجاية. ووصف بالحافظ الكبير العالم[73].

كما ذاع صيت سعيد بن عثمان بن منازل ق4هـ المعروف بابن الشقاق ابن الشقاق الذي قال عنه القاضي عياض: "**إلبيريٌ... ولي قضاء بجاية في المحرم، سنة خمس وأربعين، وسنة سبع وسبعين**[74]**... مولده سنة ثمان وستين، ذكره ابن أبي دليم وابن حارث في أهل بجاية سمع من فضل بن سلمة وابن أبي خالد ووهب وابن عمر ووهب وابن فحلون... وحدث وكان فقيها مبرزا حافظا عالما حسن السمت والهدي...**"[75].

أما أبو القاسم أحمد بن واضح (ق4هـ)[76]، قال القاضي عياض: "**من أهل بجاية... يروي عن عبيد الله وأخذ عن فضل بن سلمة وكان حافظاً للفقه، بصيراً بالمناظرة فيه، حسن الكلام في المذهب... وشُوّور ببلده، إلى أن توفي. قال ابن حارث: كان جليساً في المجالس بالقيروان، ونفسه ببجاية. ولم يكن له شغل إلا الدرس والمناظرة في بلده، مع ابن الشقاق. إلا أن ابن واضح أدرك من ابن الشقاق، في الفقه ظاهراً وباطناً...**"[77]، ويعتبر محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن خير الفزاري المعروف بتلميذ بجاية (ق4هـ) من بين محدثي المغرب الأوسط، فقد قال عنه القاضي عياض[78]: "**من أهل البيرة، سمع ببجاية، من فضل، وغيره وكان معتنياً بالمسائل، حسن الكلام فيها**" **ونقل ابن فرحون: "ما علمت أن أحدا تقدمه بالقيروان في الحفظ**"[79].

وفي نهاية القرن الرابع الهجري ظهر أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزار، أبو الفضل (ت395هـ) الذي وُصف بأنه محدث، حافظ، عالم، من الزهاد، من أهل تاهرت، رحل مع أبيه الى الأندلس سنة 317هـ وهو ابن ثمان سنين، وسمع من بن أبي دليم وقاسم ابن اصبغ... وغيرهم؛ قال ابن عبد البر: "**وكان ثقة فاضلا اختص بالقاضي منذر ابن سعيد وسمع منه تواليفه كلها، وقد لقيته وسمعت كثيرا منه**"؛ وقال الخولاني: "**كان شيخا صالحا زاهدا في الدنيا...**"؛ وقال ابن بشكوال: "**كان سكناه**

بمسجد مسرور بقرطبة وإسماعه في مسجد سريج"[80].

3. 2. محدثو المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري

الجدول التالي يوضح محدثي المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري مرتبين كرونولوجيًا ومصنفين حسب التخصص الحديثي وأهم مؤلفاتهم وما قيل عنهم من طرف المحدثين القدماء والمُحدَثين:

الرقم	المحدث	مساهمته في علم الحديث	التوثيق	التصنيف
01	عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الوهراني (ت بعد 400هـ/ 1010م)	قال ابن ماكولا[81]: "... أندلسي يروي عن ابن مالك القطيعي وغيره، روى عنه أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم حافظ الأندلس"، وقال الحميدي: "من أهل الحديث والرواية، رحل إلى العراق وغيرها، وسمع إسحاق البلخي... وأبا بكر... الأبهري، وأبا العباس تميم... صاحب عيسى بن مسكين..." وذكر ابن خير الإشبيلي أن ابن عبد البر روى عنه مسند الإمام أحمد إجازة ومناولة. وحلاه الذهبي[82]، له "رسالة "في سيرة شيخه الأبهري، اعتمد عليها مترجموه.	ابن ماكولا، الاكمال، ج7 ص 308؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ج1 ص 98؛ الذهبي، السير، ج17، ص 332 – 333. نويهض، معجم أعلام الجزائر، ج1، ص 348-349.	رواية
02	أبو جعفر الداودي التلمساني (ت402هـ)	اشتهر بمؤلفين هما: "النصيحة في شرح صحيح البخاري"[83]، "النامي في شرح الموطأ".	نقل عنه ابن حجر في فتح الباري أول شرح مغربي لصحيح الإمام البخاري. أنظر: خالد الصمدي، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، ج1ص74.	رواية ودراية[84]
03	ابن عمرون الوهراني (أبو محمد عبد الله بن يوسف بن طلحة كان حيا سنة 429هـ).	قال ابن بشكوال: "قدم الأندلس تاجرا سنة 429هـ وسكن إشبيلية... وكان من الثقات، له رواية واسعة عن شيوخ افريقية أبي محمد بن أبي زيد ونظرائه. وكان له علم بالحساب والطب، وكان نافذا فيها وحدث عنه ابن خزرج وقال لنا أنه قارب الثمانين".	الصلة ج1، ص 298، تاريخ الجزائر العام ج1، ص 260؛ معجم أعلام الجزائر، ص349-350.	رواية
04	مروان بن علي بن أبي عبد الملك الأسدي البوني (ت439هـ)	"تفسير الموطأ"	ترتيب المدارك 719/3 الصلة، ق2، ص 616؛ جذوة المقتبس ترجمة رقم 798؛ ابن فرحون، الديباج، ص423.	دراية
05	يحي بن عبد الله القرشي الجمحّي الوهراني (ت433أو439هـ)	قوي الحفظ، الغالب عليه علم الحديث	ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص 513.	رواية ودراية
06	أحمد بن خصيب الأنصاري القرطبي (ت حوالي 450هـ)	قال ابن بشكوال: "أخذ عن أبي الحسن علي بن أبي طالب العابر أكثر روايته وتواليفه كما أخذ عن غيره، استقر آخر عمره بالقلعة..."	الصلة، ج1، ص62.	رواية
07	الحسن بن رشيق المسيلي أبو علي (ت463هـ/1071 هـ).	له: "شرح موطأ مالك".	نسبه له كل من عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ج1، ص 151، والزركلي، الأعلام، ج2، ص191. ومحمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين[85]، ص355. وعدد من الباحثين المعاصرين[86].	دراية

المجلة التاريخية الجزائرية AHJ
The Algerian Historical Journal
EISSN: 2716-9065 / ISSN: 2572-0023

08	مُحَمَّد بْن عمَّار الكلَاعِي (ق 5هـ) من أهل ميورقة وَنزل بجاية واستوطنها.	كان محدثا ببجاية وله تلاميذ يأخذون عنه وهو من شيوخ ابن العربي وغيره، سَمِعَ مِنْهُ الْعَرَبِيّ فِي رحلته إِلَى الْمشرق سنة 485هـ وَوَصفه بِالْعلمِ، روى عَنْ أبي مُحَمَّد بْن الْوَلِيد نزيل مصر وَكَانَ عَالما متفننًا ...	ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص326 -327؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص234.	رواية

3.3. محدثو المغرب الأوسط خلال القرن السادس الهجري

الرقم	المحدث	مساهمته في علم الحديث	التوثيق	التصنيف
01	أبو الفَضْلُ ابن النَّحْوِيّ التوزري التلمساني (ت513هـ/ 1119م)[87]	روى عَنْ أَبِي الحَسَن اللَّخْمِيّ صحيح البخاري، وعن أبي عبد الله المازري وكان عارفًا بالفقه وأصول الدين، وله تصانيف، وكان لَا يرى التَقليد، روى عَنْهُ: القاضي موسى بْن حمّاد، وغيره... وله رحلة إلى الأندلس.	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج، 11، ص 213	رواية ودراية
02	عبد الله بْن مُحَمَّد الْأَنْصَارِيّ الأوسي وَيعرف بالتامغلتي (كان حيا في 513هـ).	قال ابن الأبار: " أَحْسبهُ من أهل بجاية...روى عَنْ أَبِي الْحَسَن الْعَبْسِي وَأبي عليّ الغساني لقيهمَا بقرطبة حدث عَنْهُ أَبُو الْحَسَن بْن طَاهِر خَال أبي عبد الله بن الرمامة وَرَأَيْت السماع مِنْهُ فِي شعْبَان سنة 513... حدث التامغلتي هَذَا بالموطأ عَن أَبِي عليّ الغساني وَيحدث بِهِ أَيْضا عَن أبي عَبْد اللَّه بْن أَبِي أحد عشر عَن أَبِي عليّ الصَّدَفِي..."	التكملة لكتاب الصلة، ص304.	رواية
03	عبد الله بن يحيى العبدري (كان حيا سنة519هـ)	قال ابن الأبار: "عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن يَحيى الْعَبدَرِي من أصل قلعة حَمَّاد وَأَحْسبهُ أندلسيًا... يروي عَنْ أبي دَاوُد المقرئ وَقَدْ حدث وَأَخذ عَنْهُ بِجَامِع القلعة الْمَذْكُورَة فِي رَجَب سنة 519هـ"	التكملة لكتاب الصلة، ص303.	رواية
04	موسى بن حماد الصنهاجي (ت535هـ)	كان فقيها حافظا من جلة القضاة وكان راوية لأبي الفضل ابن النحوي وغيره.	الصلة، ج2، ص46.	رواية
05	ابْن الأشيري عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن عليّ الصنهاجي (ت561هـ)	قال ابن الأبار: "سَمِعَ أَبَا جَعْفَر بْن غزلون وَأَبَا بَكْر بْن الْعَرَبِيّ بالأندلس وَغَيرهمَا ... وَقدم دمشق وَأقَام بهَا وَحدث بالموطأ وَغَيره... ذكره ابْن عَسَاكِر وَقَالَ سمع مني وَكتب عني كتابا أَلَّفه لأجله فِيمَن وَافَقت كنيته كنيةَ زوجه من الصَّحَابَة وعلقت عنْه شَيْئا من أَخْبَار أَبِي الْوَلِيد الْبَاجِيّ وَلم أسمع مِنْهُ حَدِيثا مُسْندًا لنزول رِوَايَته... ثُمَّ توجه إِلَى حلب وأسمع بهَا الحَدِيث... وَحج وجاور... وَذكره ابْنُ نقطة فَقَالَ سَمِعَ من أَبِي الْحَسَن بْن موهب... وَأبي الْحَسَن شُرَيْح بْن مُحَمَّد... وَأبي عَبْد اللَّه بْن أصبغ وَأبي الفَضْل بْن عِيَاض...وَحدث ببغداد وَغَيرهَا من الْبِلَاد حَدَّثَنَا عَنْهُ جمَاعَة من أشياخنا وَكَانَ فَاضلا ثِقَة حَافِظًا..."	التكملة لكتاب الصلة، ص304-305.	رواية ودراية
06	ابن الرِّمامة محمد ابن علي بن جعفر القَيْسيّ الْقَلْعِيّ (ت567هـ)	تفقّه عَلَى أَبِي الفضل ابن النَّحْوِيّ، ودخل الأَنْدَلُس فسمع من أَبِي مُحَمَّد بْن عتّاب، وأبي بحر الأَسَدِيّ، وولّي قضاء فاس... وكان عاكفًا عَلَى تواليف الغزالي سيّما "البسيط" روى عَنْهُ أَبُو القاسم بْن بَقِيّ، وجماعة... وله تصانيف[88].	تاريخ الإسلام، تح بشار، ج12، ص381.	رواية

07	ابن قرقول الحمزي الوهراني (ت569هـ)	مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري... ألفه على كتاب القاضي عياض" مشارق الأنوار على صحاح الآثار" وتبعه عدد من المشارقة مثل ابن الموصلي.	مطبوع بتحقيق مجموعة من الباحثين[89]، ابن القاضي جذوة الاقتباس ج1، ص 89	رواية ودراية
08	الحسن بن علي بن أبي عبد الله الأشيري (ت بعد 569هـ)	له: "مجموع في غريب الموطأ".	التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص 218.	دراية
09	أبو الحسن جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي الحسني (كان حيا سنة 578هـ)	قال ابن الأبار: "من أهل تلمسان.. يروي عن أهل الحديث أمثال أبي بكر بن خير وأبو القاسم السهيلي وغيرهم، وكان من أهل العناية بالرواية ومعرفة أسماء الرجال، وقد جمع مشيخة ابن خير على حروف المعجم، ودخل اشبيلية، وكان السماع منه سنة 578هـ..." ونقل ابن الأبار عن التجيبي في معجم مشيخته: "جابر... من أصحابي الآخذين عني بتلمسان. وكان زكيا جليلا نبيلا...محبا في الحديث وتحصيله، وكانت له إجازات من مشايخ أهل الحديث وعناية بفنه وطرقه..."	ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 201.	رواية
10	أبو علي المسيلي حسن بن علي بن محمد (ت حوالي 580هـ/1185م)	وصفه الغبريني بالفقيه الفاضل العالم العابد، المتقن المحصل المجتهد... له المصنفات الحسنة... وكان له وللفقيه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي والفقيه أبي عبد الله محمد بن عمر القرشي...مجلس أضنه يجلسون فيه للحديث وكان الحانوت المذكور يسمى مدينة العلم[90].	عنوان الدراية، ص 33-36	رواية
11	عبد الحق الإشبيلي (ت581هـ[91]	أندلسي هاجر إلى بجاية، ومن مؤلفاته: "الأحكام الكبرى"، "الأحكام الوسطى"، "الأحكام الصغرى"[92]،"غريب القرآن والحديث"، "الواعي".	الغبريني، عنوان الدراية، ص 73 وما بعدها[93].	دراية
12	أبو جعفر القرطبي (أحمد بن عبد الصمد ت582هـ/118 7م)	قال ابن الأبار: "... من أَهْلَ قرطبة وَنزل بجاية وَقد سكن غرناطة وقتا... روى عَنْ أبي عَبْد اللَّه بْن مكّيّ وَأبي جَعْفَر البطروجي وَعبد الرَّحِيم الحجاري وَأبي بكر بن الْعَرَبِيّ... وَغَيرهم وَكَانَ معتنيا بِالْحَدِيثِ وَرِوَايَته وكف بَصَره فِي آخر عمره وَله تأليف فِي أَحْكَام النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمَاهُ "آفَاق الشموس وأعلاق النُّفُوس"... و"مَقَامِع الصلبان ومراتع رياض أَهْلَ الْإِيمَان" حَدَّثَنَا عَنْهُ أَبُو الْقَاسِم بْن بَقِي وَأَبُو سُلَيْمَان بْن حوط اللَّه...	التكملة لكتاب الصلة ص76؛ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص69.	رواية
13	موسى بن حجاج الأشيري (ت589هـ)	عني بالرواية وكانت إقامته بتدلس ثم انتقل إلى الجزائر وحدث وأُخذ عنه إلى أن توفي بتدلس.	التكملة ج2، ص690.	رواية
14	أبو مدين شعيب (ابن الحسين الأنصاري ت594هـ /1198م).	اعتبر سيد العارفين، بما له من نهج سلوكي صوفي، كما أنّه كان عالما من حفاظ الحديث، وكانت الفتاوى ترد عليه في المذهب المالكي فيجيب عليها. جمع هذا العالم بين الحقيقة والشريعة وهو من شيوخ محمد بن سليمان الكومي اليفرني[94].	ابن عبد الملك الذيل والتكملة ص317/8	رواية

15	ابن محشرة علي بن طاهر بن تميم القيسي (ت598هـ)	قاض، حافظ، محدث، من فقهاء المالكية، من أهل بجاية، وبها نشأ وتعلم، رحل إلى الأندلس، وروى عن أبي بكر غالب بن عطية وغيره. روى عنه ابن أخته محمد بن علي ابن الرمامة (ت567هـ) وأبي القاسم القالمي... وولي قضاء بجاية. قال الغبريني: "له رواية عن أبي القاسم السهيلي وأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي وسمع منه".	عنوان الدراية، ج1، ص 53-55؛ ابن خلدون 6: 352 واعمال الاعلام ق 3: 87 وابن الاثير، ج9، ص600 وج10، ص44؛ صلة الصلة 148 وفيه أنه من قلعة بني حماد؛ معجم أعلام الجزائر ص 288.	رواية
16	إبراهيم بن حماد (ق 6هـ)	كان راوية لأبي علي الصدفي وحدث عنه ابن الرمامة المتوفى 567هـ	التكملة 1ج، ص174.	رواية

4. ملامح الاتجاه الحديثي بالمغرب الأوسط

بعد تسجيل ما تمكنت من جمعه حول محدثي المغرب الأوسط منذ النشأة إلى غاية نهاية القرن السادس الهجري، يتضح أن علم الحديث بأقسامه، لقي اهتماما كبيرا من طرف علماء المغرب الأوسط الذين اشتُهِر عنهم الميل إلى الفقه المالكي على غرار أغلب علماء الغرب الإسلامي؛ وهذا ما يتأكد مع الاطلاع على التراجم الكاملة لهؤلاء المحدثين، حيث يتضح أن أغلبهم جمعوا بين المنقول والمعقول، ونهلوا من مختلف فروع علوم الشريعة، فمنهم فقهاء محدثون أو قراء أو اعتنوا بالمناظرة والأدب... كما يظهر تنوع المصنفات من الاهتمام بالموطأ، إلى الصحيحين، والكتب الستة، وكذا التأليف على كتب المشارقة دون إغفال مؤلفات المغاربة كتراث مجتهد المغرب ابن عبد البر، وموسوعة "**الأحكام**" لعبد الحق الإشبيلي نزيل بجاية، مما يدل على الاستمرار والتواصل.

إذا حاولنا معرفة أسباب هذا الاهتمام والتواصل نجد أن مكانة الحديث من بين مصادر التشريع في المذهب المالكي، وحفظ تراث الأمة الذي تنص عليه مقاصد الشريعة -وفي طليعتها حفظ الدين- إضافة إلى التمسك بالمذهب المالكي، ومكانة إمامه مالك ابن أنس، ومكانة الموطأ وكتب الصحاح... كلها أسباب حدت بعلماء المغرب الأوسط للمساهمة في إثراء علم الحديث شرحا وتنقيحا ورواية ودراية ومواصلة درب أسلافهم ومشايخهم.

أما من حيث الامتداد الجغرافي لمحدثي المغرب الأوسط نجد أن الحواضر الكبرى كتلمسان وبجاية والقلعة وأشير وقسنطينة والجزائر... أخذت نصيبا وافرا من تدريس ورواية الحديث الشريف، وهذا لا يمنع وجوده ضمن مدن أقل تأثيرا ومجالات حضرية أخرى كتنس وسوق حمزة... وغيرها ولعل الملاحظة البارزة تكمن في تأثير هؤلاء المحدثين وتنقلهم وليس في أصولهم أو منشإ تكوينهم، إذ نجد أن عددا معتبرا منهم جال المغرب والأندلس، وآخرين انتقلوا إلى المشرق والتقوا أبرز علمائه، بل يوجد من درس بالحرمين الشريفين والقدس محدثا وشارحا... وهكذا مثلت هذه النماذج: "**ملمحاً مهماً لعلم الحديث... قصد التثبت والتثبيت من جهة، والوفاء للشيوخ والسلف كذلك... وأنّ أصحابها كانوا يهدفون من خلال ذلك إلى التموقع ضمن سلسلة السند الحديثي أو العلمي، أي بقدر ما كانوا يبحثون عن التثبت والتحقيق، كان هدفهم ترسيخ قدمهم العلمي ضمن الأسانيد الرفيعة العالية**"[95].

ولأجل المقارنة بين المتخصصين في الرواية والمكثرين من الدراية من بين محدثي المغرب الأوسط لابد من تمحيص مؤلفاتهم وتصنيفها حسب أقسام علم الحديث التي سبقت الإشارة إليها في مطلع هذا البحث، وبعد القيام بهذه العملية الإحصائية خلصت إلى الجدول التالي:

محدثو المغرب الأوسط عبر فترة الدراسة	المتخصصون في الرواية	المتخصصون في الدراية	مجموع الكتب التي خلفها محدثو المغرب الأوسط[96]
27	17	06	16
المؤلفات في علم الحديث رواية	ما نسبته من مجموع المؤلفات	المؤلفات في علم الحديث دراية	ما نسبته من مجموع المؤلفات
03	%18.75	13	%81.5
المؤلفات في شرح الموطأ	المؤلفات حول الصحيحين	شروح على مؤلفات محدثي المغرب	شروح على مؤلفات محدثي المشرق.
05	01	01	00
المؤلفات في علم الإسناد	المؤلفات في غريب الحديث	محدثون جمعوا بين بالرواية والدراية	محدثون اشتهروا بالتحديث ولم يخلفوا آثارا مكتوبة[97]
03	02	04	21

الجدول من إعداد الباحث بناء على معطيات المبحث السابق (3).

خاتمة

من خلال هذه الدراسة نخلص إلى نتائج هامة أولها الدور الكبير لمحدثي المغرب الأوسط ومجهوداتهم المبذولة في حفظ وتطور علم الحديث:

إذْ رَوَوُا الأحاديث بسندهم مهما علا أو نزل، وشرحوا الأمهات والمصنفات مشرقا ومغربا، وأكملوا ما بدأه شيوخهم وأسلافهم.

شمول التأليف الحديثي لدى علماء المغرب الأوسط لمختلف فروع علم الحديث التي وضعها العلماء ومن ضمنهم محدث المغرب القاضي عياض في كتبه "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع".

حيازتهم قصب السبق في العديد من ميادين علم الحديث كانفرادهم بالرواية والتحديث عن بعض المشايخ والرواة، وصولا إلى التجديد في التأليف الحديثي مثل أولية شرح الداودي (ت402هـ) لصحيح البخاري.

رغم أن الحاجة إلى الدراية كانت أكثر من الرواية بسبب النوازل والمستجدات الفقهية، إلا أننا نسجل تفوق عدد المحدثين المكثرين من الرواية؛ وربما يكمن السبب في كون أغلب من يحتاجها من المتخصصين وطلبة العلم الشرعي، إلا أن هذا الأمر لا يعد منقصة أو قدحا خصوصا إذا اطلعنا على عدد المؤلفات حيث نجد أن أغلب التراث الحديثي للمغرب الأوسط خلال فترة الدراسة كان في علم الحديث دراية بـ 13 مؤلَفا أي ما نسبته 81.25 % من مجموع المؤلفات، كما أن عدد من مزج بين الرواية والدراية يقدر بـ 04 محدثين.

نسجل 21 محدثا لم يخلفوا آثارا مكتوبة رغم إشارة المصادر أو جزمها بأن لهم تواليفا، وأغلب هؤلاء المحدثين من المتقدمين أي خلال مرحلة البوادر الأولى، وربما يكمن السبب في ذلك إلى عدم تبلور علم الحديث خلال

هذه الفترة، وكون السكان المغاربة لايزالون في بداية إسلامهم، مما يعكس حاجتهم إلى النصوص الحديثية التي تشرح تعاليم الإسلام.

يمكن القول بوجود مدرسة حديثية في المغرب الأوسط لها خصائصها وعلماؤها وسمات منهجهم في الرواية والشرح والتأليف، وحسبنا توصيف الغبريني لعصره إذ يقول: "... **وقد مضى من قول الشيخ أبي علي المسيلي: (أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ما منهم من يعرف أبا علي... المسيلي من يكون؟) وإذا كان من المفتين تسعون فكم يكون من المحدثين ومن النحاة والأدباء وغيرهم ممن تقدم عصرهم ممن لم يدركه، كان الناس على اجتهاد، وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد...**"[98]. وإذا كان هذا حال المائة السابعة ببجاية، **فكيف يكون الوضع الثقافي والإنتاج الحديثي في كامل المغرب الأوسط وعبر كامل قرون العصر الوسيط؟** وهذا ما يقع على عاتق الهيئات المسؤولة عن التراث والباحثين المتخصصين، إذا أردنا نشر تراثنا، ووصل ماضينا بحاضرنا خدمة للمستقبل والأجيال المقبلة.

الهوامش:

1 حول هذا الموضوع أنظر: بوعقادة عبد القادر: "**التحول المذهبي في العهد الصنهاجي- الحمادي – الزيري- وأثره على بلاد المغرب الأوسط**"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ع 74، رجب 1432هـ- يونيو – حزيران 2011، ص 6 – 18.

2 تعتبر سنة 555 هـ حدا فاصلا في تاريخ المغرب حيث تحققت فيها وحدة المغرب السياسية ودخل كله في دولة واحدة يحكمها خليفة واحد في العاصمة مراكش. عبد الواحد المراكشي أبو محمد بن علي (ت647هـ): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص ص 156-169؛ حسين مؤنس: **مقدمة تحقيق وثائق المرابطين والموحدين للمراكشي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997م، ص112.

3 حول الحركة المذهبية للموحدين راجع:مصطفى مغزاوي: **التحولات المذهبية في المغرب والأندلس خلال العصر الموحدي القرن6-8هـ/11-13م**، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2012م، ص359 وما بعدها؛ خالد الصمدي: **مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري جذورها آثارها مناهجها**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2006م، ج1، ص86-89؛ الحسيسن عبد الهادي أحمد: **مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي (554-595هـ/1159-1198م)**، اللجنة المشتركة لإحياء التراث الإسلامي بين المغرب والإمارات العربية، 1982م، ج1، ص23-24؛ بولطيف لخضر: **الفقه والتاريخ بالغرب الإسلامي مقاربات منهجية**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م، ص178-206؛ المنوني محمد: **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، منشورات جامعة محمد الخامس، المغرب، 1983م، ج1، ص 36-37؛ كنون عبد الله: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، 1960م، ج1، 124-126؛ خالد كبير علال: **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي**، كنوز الحكمة، الجزائر، 2009K ص 102-104.

4 أنظر ترجمته عند: الغبريني أبو العباس أحمد (ت704هـ/1304م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص 127-132.

5 راجع تفاصيله في المصدر السابق، ص 247-248.

6 حول موضوع هجرة علماء المغرب الأوسط أنظر مثلا: هلال عمار: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، 3/14هـ**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

7 أنظر ترجمته عند: القاضي عياض أبو الفضل موسى (ت544هـ): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح محمد بن تاويتالطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ت، ج2، ص51؛ ابن فرحون (إبراهيم بن علي ت 799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، مطبعة المدينة، دار السلام، 1972م، ج2، 114.

8 بينما يرى بعض المحدِثِين أن الخطابي (ت388هـ) هو أول شارح لصحيح البخاري في مصنفيه: "**أعلام السنن**" و"**أعلام الحديث**" وهذا بسبب تقدمه في الوفاةعلى الداودي راجع: خريف زتون، سمات منهجية في شرح الداودي على صحيح البخاري، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع6، جويلية 2013م، ص 163-295.

9 أنظر ترجمته عند: ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي (ت 658هـ): **التكملة لكتاب الصلة**، تح ألفرد بل ومحمد بن شنب، الجزائر، 1919م.ص 1785-186 (ترجمة رقم 394)؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص 352-353.

10 سيأتي ذكره ضمن جدول المحدثين رقم 11 ص 14.

11 الغبريني، المصدر السابق، ص43.

12 حول الموضوع انظر مثلا: القطان مناع بن خليل: **تاريخ التشريع الإسلامي**، مكتبة وهبة، ط5، 2001م، ص 71-73؛ الشنقيطي أحمد بن محمود: **خبر الواحد وحجيته**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 2002م، ص 47-57؛ النملة عبد الكريم: **الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ** تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً، مكتبة الرشد، الرياض، 1999م، ص 629-640؛ السعيد مصطفى محمد: "**تحقيق الغاية في بيان الفرق بين علم الحديث دراية ورواية**"، مجلة المعيار، جامعة غرداية، الجزائر، عدد 49،مجلد 24، سنة 2020م، ص 133- 153.

13 سورة النجم، الآيات: (3-5).

14 أبو داود (سليمان السِّجِسْتاني ت 275هـ): **سنن أبي داود**، تح: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م، ج7، ص 13.

15 حول الموضوع أنظر: سزكين فؤاد: **تاريخ التراث العربي**، تر محمود فهمي حجازي وآخرون، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1991م، المجلد 1، الجزء1، ص119-152؛ عبد الحليم محمود: **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، المكتبة العصرية، بيروت، 1977م، ص35-60؛ الأشقر، المرجع السابق، 50-52؛ صبحي الصالح: **علوم الحديث ومصطلحه**، ط12، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ص 14-41؛ أكرم بن ضياء العمري: **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**، مكتبة بساط، بيروت، ط4، د.ت، ص، 221-239.

16أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت241هـ): **مسند الإمام أحمد**، تح شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، ج 17، ص 149.

17 الحاكم أبو عبد الله النيسابوري (ت 405هـ): **المستدرك على الصحيحين**، تح مصطفى عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، 1990م، ج1، ص187، رقم 359.

18 والذي قام بهذه المهمة هو والي المدينة أبو بكر بن عمرو بن حزم. حول الموضوع أنظر: ابن عبد البر (أبو عمر النمري ت463هـ): **جامع بيان العلم وفضله**، تح أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، م.ع.س، 1994م، ج2ص302-304؛ النووي (محيي الدين بن شرف ت 676هـ): **تهذيب الأسماء واللغات** تح مصطفى عبد القادر عطا ج 3، ص 71؛ ابن منظور جمال الدين (ت 711هـ): **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تح روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1984م، ج8، ص 301؛ عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص49-50.

19 الحاكم أبو عبد الله النيسابوري (ت 405هـ): **معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه** بتعليق الحافظين المؤتمن الساجي والتقي ابن الصلاح، تح أحمد بن فارس السلوم، دار بن حزم، بيروت، 2003، ص9 – 10.

20الحافظ ابن حجر أحمد العسقلاني: **نزهة النظر في توضيح نخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر**، تح عبد الله الرحيلي، 1422-2001،

ص29-33؛ الشايع عبد العزيز: **تقريب نزهة النظر في توضيح نخبة الفِكَر**، الدار المالكية، تونس، بيروت، 2016م، ص 28؛ عبد المجيد (محمود): **الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1399هـ/1979م، ص 20-23؛ أكرم بن ضياء العمري، المرجع السابق، ص ص61- 212.

21ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ): **مقدمة ابن خلدون**، تح خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، .1421هـ - 2001م، ص550-562.

22السيوطي الحافظ جلال الدين (ت911هـ): **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تح محمد الفاريابي، ط2، مكتبة الكوثر، بيروت، 1415. ص ص59-943.

23 السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص45-46. قال المحقق في الهامش رقم2: وقد بلغت أنواع علوم الحديث التي ذكرها السيوطي في التدريب ثلاثة وتسعين نوعا منها خمسة وستون نوعا ذكرها النووي تبعا لابن الصلاح؛ والحازمي هو مؤلف العجالة في شرح الرسالة. أنظر أيضا: الجرجاني علي بن محمد الحسني (ت816هـ): **رسالة في علم أصول الحديث**، تح عقيل المقطري، مكتبة القدس، صنعاء، دار ابن حزم، بيروت، 1992م، ص 28-73؛ والغوري، المرجع السابق، ج1ص19-21.

24 حاجي خليفة، المرجع السابق، ج1، ص.635.

25 السيوطي، المصدر السابق، ج1ص44-47؛ الغوري (سيد عبد الماجد): **موسوعة علوم الحديث وفنونه**، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2007م، ج1ص18-19، صبحي الصالح، المرجع السابق، ص107-108، الزحيلي محمد: **تعريف عام بالعلوم الشرعية**، دار الكوثر، الجزائر، د.ت، ص78-.79.

26 حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تح محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكهالكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج1، ص563.

27 السيوطي، المصدر السابق، ج1ص44-47، ص79؛ الغوري، المرجع السابق، ج1ص18؛ صبحي الصالح، المرجع السابق، ص107.

28 صبحي الصالح، الزحيلي، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 108-109.

29 السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص29-34.

30 ابن حجر، المصدر السابق، ص41.

31السخاوي شمس الدين (ت 902هـ): **فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي**، تح علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، 2003م، ج1، ص65.

32 راجع: الغوري، المرجع الأسبق، ج3، ص193؛ صبحي الصالح، المرجع السابق، ص75-80. المنشاوي (محمد صديق): **قاموس مصطلحات الحديث النبوي**، دار الفضيلة، القاهرة، 1996م، ص104.

33صبحي الصالح، المرجع السابق، ج1، ص 75-76.

34وصل عدد الصحابة (وهم: من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك) ممن دخلوا إفريقية والقيروان خمسة وأربعين صحابيا؛ عدا ثلاثة من المخضرمين (وهم: من ولدوا في العهد النبوي وتوفي النبي ﷺ وهم دون سن التمييز)؛ وواحدا وعشرين من مخضرمي التابعين (الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ولم يحظوا بلقاء الرسول ﷺ)؛ وتسعة وأربعين تابعيا (وهم: جيل تلاميذ الصحابة) من الرواة من بين الآلاف الذين دخلوها، ومنذ بداية الفتح وصل عددهم التابعين وأتباعهم مئة واثنان وثمانين من العلماء اشتهروا برواية الحديث والعناية به وإتقان علومه منهم تسعة وعشرين رووا عن الإمام مالك وأربعة من رجال الكتب الستة، ومنه يمكن استنتاج أن القيروان دار حديث لأن الصحابة رووا بها أحاديث اختصوا بها أهل المنطقة. للمزيد حول الموضوع انظر: أبو العرب التميمي (محمد ت333هـ): **طبقات علماء تونس** (ومعه طبقات علماء إفريقية)، تح محمد بن شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ص 245-247؛ شواط (الحسين): **مدرسة الحديث في القيروان من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411، ج2، ص463-506.

35 بن يعيش محمد: **مدرسة الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر في الحديث والفقه وآثارها في تدعيم المذهب المالكي بالمغرب**، وزارة الشؤون الإسلامية، المغرب، 1994م، ج1ص26.

36 استنتج الدكتور موسى لقبال أن كثرة بناء المساجد لمن جاء بعد هؤلاء التابعين "اطراد لانتشار الحركة الدينية والثقافية الإسلامية" أدى إلى الاستقرار حيث يستمر بصفة عادية من طرف التابعين ومن بعدهم بدليل تكرار عبارة "سكن إفريقية واستوطنها" في كثير من تراجم الوافدين على إفريقية. لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص133.

37 حول الموضوع أنظر: أبو العرب التميمي، المصدر السابق، ص 245-247؛ الخشني المصدر السابق ص 5-7؛ شواط، المرجع السابق، ص 542.

38 يقول المالكي عنه: "كان محدثا فاضلا ورعا، أرسله عمر بن عبد العزيز رئيسا للبعثة العلمية وأميرا على القيروان سنة99هـ وأعلم أهل القيروان بالسنن وكان حريصا على نشر العلم" المصدر السابق، ج1ص106-109.

39 ابن عذارى المراكشي (ق7هـ): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ج س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ج1، ص48.

40 عن هذه البعثة وآثارها انظر: أبو العرب التميمي (ت333هـ): **طبقات علماء إفريقية**، تح محمد بن شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ص20-21، ابن سحنون (محمد ت256هـ): **آداب المعلمين**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص31، المالكي، المصدر السابق، 1991م، ج1، ص 99-117؛ لقبال موسى: المرجع السابق، ص132، التهامي (ابراهيم): **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السّنة**، دار الرّسالة، الجزائر، 2002م، ص23-29؛ عون عبد الرحمن: "**صور من الحياة الثقافية بأفريقية**"، مجلة الحياة الثقافية، ع 24، نوفمبر 1984، ص 10-11؛ بوعقادة عبد القادر: **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 5-9هـ/13-15م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2015م، ص 127-140.

41 لقبال موسى: المرجع السابق، ص132.

42 الحارث الخشني أبو عبد الله (ت 286هـ): **طبقات علماء إفريقية**، تح محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993م، ص 93-94؛ أبو العرب التميمي، المصدر السابق، ص 245-247؛ النيفر محمد الشاذلي): **قطعة من موطأ ابن زياد** (مقدمة التحقيق)، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت، ص1-19.

43 أبو العرب التميمي، المصدر السابق، ص32.

44 الخشني، المصدر السابق، ص98- 99؛ أبو العرب، المصدر السابق، ص251-253، والنيفر، المرجع السابق، ص 26-43.

45 عد الدكتور خالد الصمدي30 راحلا كلهم لقي مالكا وسمع منه، المرجع السابق، ج1 ص33-34، بينما وجد شواط،182 راحلا من المغرب إلى المشرق من بينهم 126راحلا في طلب الحديث أي بنسبة69.23% من مجموع الراحلين (المرجع السابق، ج1، ص197-198).

46 القاضي عياض ابن موسى اليحصبي (ت543هـ): **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح ماهر زهير جرار، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1402هـ، ج1، ص37.

47 التجيبي القاسم البلنسي السبتي (ت 730هـ): **برنامج التجيبي**، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م، ص 93. مع العلم أن المفاضلة بين صحيحي البخاري ومسلم محل خلاف بين العلماء مشرقا ومغربا، إذ اختلف الناس في تفضيل أحدهما على الآخر،وفضل بعض علماء المغاربة البخاري على مسلم وجعل له كرسيا كالونشريسي مثلا.

48ابن الصلاح تقي الدين أبو عمرو(ت642هـ): **صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط**، تح موفق عبد القادر، ط2 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ، ص 111.

49 بوعقادة، المرجع السابق، ص 845-852.

50 راجع: الشيخ بوقربة: "**الحياة الثقافية والفكرية على عهد الرستميين**"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع12، 1990، ص 53-36.

51 المرجع نفسه، ص48.

52 الشماخي أبو العباس أحمد (ت 928هـ): **كتاب السير**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1301هـ، ص580.

53 بحاز (إبراهيم بكير): **الدولة الرستمية 160-296هـ /777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، ط2، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1993م، ص306.

54 بوقربة، المرجع السابق، ص50-49 .

55 الدرجيني أبو العباس أحمد (ت 670هـ): **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب**، تح إبراهيم طلاي، د.ت، ج1ص84.

56 ابن الصغير المالكي (ق 3هـ): **أخبار الأئمة الرستميين**، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص92 – 98؛ المالكي أبوبكر عبد الله (ق5هـ): **رياض النفوس...**، تح بشير البكوش والعروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1991م، ج2، ص 21-26ن (ترجمة رقم 170)؛ أبوزكريا يحيى بن أبي بكر (ق5هـ): **سير الأئمة وأخبارهم**، تح إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص 40؛ أنظر أيضا المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج2، ص48 (ضمن ترجمة قاسم بن أصبغ).

57 العجلى أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت 261هـ) **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، تح عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1985م، ج21، ص 254؛ ابن مندة أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، العبدي الأصبهاني (ت 470هـ): **المستَخرجُ من كُتب النَّاس للتَّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة**، تح عامر حسن صبري التَّميميُّ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، البحرين، ج1، ص 184؛ ابن قُطْلُوْبَغَا أبو الفداء زين الدين قاسم السُّوْدُوْنِي الحنفي (ت 879هـ): **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**، تح شادي بن محمد آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، 2011م، ج3، ص 77، (ترجمة رقم 2074).

58 الدباغ أبو زيد عبد الرحمن (ت696هـ): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله ابن ناجي التنوخي (الغروي القيرواني ت839هـ) تح إبراهيم شبوح، د.ت، ج2ص281؛ بحاز، المرجع السابق، ص308-309؛ بوقربة، المرجع السابق، ص48-50.

59 للمزيد حول الموضوع انظر: الميلي، (مبارك بن محمد): **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ج2 ص79؛ بوعقادة عبد القادر: "**الإباضي والآخر، تعايش أم احتقان؟** " **عينات من العصر الوسيط**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ع 21، 2015م، ص 207 – 233؛ بوزوادة حبيب: "**دور علماء الجزائر في خدمة الحديث النبوي**"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع01، مجلد 20، ماي2019م، ص103-120؛ محمد حاج عيسى ومحمد حدو، "**إسهامات علماء الجزائر في الحديث النبوي وعلومه**"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع01، مجلد19، أفريل2018م، ص105-122.

60 ابن عبد البر، المصدر السابق، ج1-3. ص 2 وما بعدها.

61أنظر مثلا: السمعاني أبو سعد عبد الكريم التميمي المروزي (ت 562هـ): **الأنساب**، تح عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد،1962م، ج1، ص 343؛ القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1964م، ج1، ص287؛ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ): **الوافي بالوفيات**، تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت2000م، ج 18، ص174؛ الذهبي أبو عبد الله شمس الدين (ت 748هـ): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م، ج27، ص 67-68؛ الحافظ ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد (ت 852هـ): **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحعادل عبد الموجود وعلى معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ، ج 5، ص233؛ الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر الأزدي الميورقي (ت 488هـ): **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م، ص ص 141-332؛ ابن عميرة الضبي (احمد ت599 هـ): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج2، ص ص201-450؛ ياقوت الحموي شهاب الدين الرومي (ت 626هـ): **معجم البلدان**،

دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج2، ص8؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج4، ص 80.

62 بوقربة الشيخ: المرجع السابق، ص 93-97.

63 إضافة إلى ما دونته مصادر الرجال والطبقات والتواريخ والرحلات عن محدثي المغرب الأوسط نستنتج نشاط مدنه في ظل استقرار الدول القائمة بالمنطقة -ولو مؤقتا- فتيهرت أنجبت مثل أولئك المحدثين رغم الاختلاف المذهبي والحركات المناوئة والتهديدات الخارجية، فكيف بغيرها؟ كما يمكن الاستئناس بالمؤلفات الحديثية المنجزة في حواضر المغرب الأوسط والمنتشرة في ربوعه لمعرفة مدى نشاط الاتجاه الحديثي الذي مثله علماء ومحدثون لا أدل على نبوغهم من تكوينهم في مدارسه ومعاهده.

64 بولطيف، المرجع السابق، ص ص 125-152.

65 عويس عبد الحليم: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة، القاهرة، 1991م، ص 258.

66 الغبريني، المصدر السابق، ص55؛ وقد نقل الثعالبي عن الغبريني هذا النص حرفيا، الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن (ت 875هـ/1479م): **غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد**، تح محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2005م، ص 50.

67 سيكون العمل ملخصا تفاديا للخروج عن الموضوع واقتصار على ما يندرج ضمن عنوان هذه المقالة.

68 وهذا ما يتجلى في تراجم عديد الأعلام الذين يعتبرون فقهاء محدثين، أو نحويين أو خلفوا تراثا في فنون شتى. للمزيد راجع: بوعقادة، **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط**، المرجع السابق، ص 408-428.

69 سجل الغبريني في عنوان الدراية وبرنامجه الذي ختم به الكتاب بعضا من استجازات وإجازات محدثي المغرب الأوسط التي تؤكد ثراء البيئة الحديثية بمحدثين ورواة ومن أمثلتها: "**يرغب إلى الشيخ الزكي المحصل... أبي محمد عبد الحق بن سليمان...، يحيى ابن علي.. بن حبوس الهمداني، في الإنعام عليه بإجازة ما اشتمل عليه برنامج روايته عن أشياخه... وما سند عنه من قراءته ومسموعاته وإجازته ومناولاتهوتآليفه في فنون العلم...**" الغبريني، المصدر السابق، ص 119-121. كما توجد مخطوطات لإجازات ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ): في معهد الأبحاث والعلوم الإنسانية بنيامي النيجر. ولد سيدي أحمد يحيى: **بيبليوغرافيا تلمسان**، دار المعرفة، الجزائر 2011م، ص 75-76.

70 عويس، المرجع السابق، ص 262.

71 راجع الهوامش50-56 من هذه المقالة.

72 أصله من إلبيرة، وسمع بها وببجاية، ورحل رحلتين فأقام فيهما عشرة أعوام، سمع فيهما بالقيروان من المغامي وغيرهونسبه القاضي عياض في المدارك (ج7، ص21): إلى بجانة بالأندلس.

73 ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص137-138؛ مخلوف محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ج1، ص123.

74 لعله خطأ والصواب سبع وأربعين (347هـ) فإن كان مولده سنة ثمان وستين فيستبعد أن يكون قد جاوز المائة متوليا للقضاء سنة سبع وسبعين.

75 ترتيب المدارك، ج1، ص420.

76 تبدو تواريخ هذه الترجمة والتي قبلها وهي الخاصة بسعيد بن عثمان ابن منازل -المعروف بابن الشقاق- غامضة في ترتيب المدارك للقاضي عياض ومن خلال سياق الكتاب وتراجمه يظهر انها ضمن تراجم القرن الرابع الهجري، خصوصا وأن المؤلف عاش إلى ما قبل منتصف القرن الخامس الهجري، ويذكر في المقدمة أن آخر الكتاب طبقة شيوخه ويستطرد أحيانا ليذكر تراجم وأحداثا وقعت في عصره، وآخر ترجمة بالكتاب تعود لسنة 460هـ (ج8، ص166)، أنظر أيضا: الترابي البشير علي حمد: **القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية**، دار ابن حزم، بيروت، 1997م، ص 415-422.

77 ترتيب المدارك، ج6، ص156.

78 المصدر نفسه، ص154.

79 ورد هذا النص عرضا في ترجمة الفضل بن سلمة البجائي أنظر: الديباج المذهب، ج2، ص137-138.

80 ابن خير، الفهرست؛ ص 139؛ الضبي، بغية الملتمس 188؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 1، ص 84؛ الحميدي، جذوة المقتبس 141؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص 145؛ الحموي، معجم البلدان مادة تاهرت؛ ص58؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر ص58.

81 ابن ماكولا سعد الملك أبو نصر (475هـ): **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب المؤلف**، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، 1990م.

82 وذكر أنه توفي سنة 411هـ.

83 رستم محمد زين العابدين: **أول شرح مغربي لصحيح الإمام البخاري: "النصيحة في شرح البخاري" لأبي جعفر الداودي**؛ مجلة دعوة الحق، العدد 313 ربيع 1-ربيع2 1416/غشت-شتنبر 1995م.

84 أفاد أ.خريفزتون بعد تتبعه لنقول ابن حجر العسقلاني في "**فتح الباري**" عن الداودي أنه لم يهمل الجوانب الإسنادية من الأحاديث بل درسها دراسة مستفيضة، المرجع السابق، ص 272.

85 محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2، 1994م.

86 لكن المصادر التي ترجمت له لم تنسب له شرح الموطأ مما يستدعي تحقيقا علميا للموضوع. أنظر مثلا: حاج عيسى، المرجع السابق، ص110؛ موسى اسماعيل، **جهود علماء الجزائر في خدمة السنة النبوية رواية وتدريسا وتأليفا**، حوليات جامعة الجزائر، ع28، ديسمبر **2015**، ص**288 – 270**؛ مصيطفى محمد السعيد: "**إسهامات علماء الجزائر في علوم الحديث**"، مجلة الواحات، ع9، مج2، 2016، ص1049-1074.

87 جاء في معجم أعلام الجزائر، ص329: "... من أهل تلمسان. أصله من توزر بتونس، دخل سجلماسة وفاس، ثم عاد إلى المغرب الأوسط وسكن قلعة بني حماد إلى أن توفي .قال الشاعر المؤرخ محمد بن علي بن حماد" :كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علما وعملا "وقال ابن الزيات " :**ولما عاد أبو الفضل على القلعة) قلعة بني حماد (أخذ نفسه بالتقشف، وهجر اللين من الثياب ولبس الخشن من الصوف، وكانت جبته الى ركبته...**".

88 لم يوضح الذهبي مجال هذه التصانيف، لكن صاحب التكملة يضيف بعض شيوخ المترجم له ويفصح عن مؤلفاته فيقول: "**روى عَن ابن النَّحْوِيّ وَعَن أبي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن حَمَّاد وخاله أبي الْحسن عَليّ بن طَاهِر بن محشوة بالجزائر وَأَبَا حَفْص التوزري وَأبي مُحَمَّد الْمقري ببجاية وَغَيرهم وَدخل الأندلس تَاجِرًا وطالبا للْعلم وَلَقي بقرطبة ابْن عتاب وَأَبَا الْوَلِيد بْن رشد وَأَبَا بَحر الأسَدِيُ وَأَبَا الْوَلِيد بْن طريف فَحمل عَنْهُم وَسمع مِنْهُم... وَحدث بهَا ودرس وَأخذ النَّاس عَنهُ وَكَانَ فَقِيها نظارا مائلا لمَذْهَب الشَّافِعِي** رضي الله عنه **عاكفا على كتاب أبي حَامِد الْغَزَالِيّ..."البسيط"... وَله تواليف مِنْهَا تسهيل الْمطلب فِي تَحْصِيل الْمَذْهَب وَكتاب التفصي عَن فَوَائِد التَّقَصِّي وَكتاب التَّبْيِين فِي شرح التَّلْقِين وَغير ذَلِك روى عَنْهُ من الجلة أَبُو ذَر الْخُشَنِي وَأَبُو الْحسن بن الْمفضل فِي كِتَابه إِلَيْهِ وَحدثنَا عَنهُ من شُيُوخنَا أَبُو الْقَاسِم بن بَقِي وَغَيره...**". مما يدل على أن الغالب عليه هو فن الرواية. التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص158.

89 ابن قرقول أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي الوهراني: **مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري...**، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الفلاح، مصر، 2012م.

90 وفي عنوان الدراية ص 39 يقول الغبريني: "**ويتصل سندنا بالقاضي أبي عبد الله المسيلي عن الشيخ الخطيب أبي عبد الله الكناني عن أبي محمد بن برطلة عن الشيخ أبي عبد الله ابن حماد عن القاضي أبي علي المسيلي قراءة عليه وألقاه إلية**"؛ قلت: هذا أسناد عزيز اجتمع في ثلة من محدثي المغرب الأوسط المذكورين في هذا المقال ضمن الجدول.

91 ينسب إلى بجاية لطول إقامته ووفاته بها.

92 موضوعها الأحاديث الصحيحة الدالة على الأحكام الشرعية استقاها من مصادر السنة.

93 (اغلب هذه المؤلفات مطبوعة).

94 بولطيف، المرجع السابق، ص 127.

95 بوعقادة، **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط**، المرجع السابق، ص 417.

96 مع التنبه إلى أن هذا ما وصلنا عبر المصادر فقط، فنسبة المحدث للرواية في ترجمته من خلال المصادر لا تمنع أن تكون له مؤلفات لم يطلع عليها المترجِم أو لم تصله.

97 يرد في بعض التراجم إشارات إلى وجود المصنفات دون توضح مجالها وعناوينها مثل قول الذهبي عن ابن الرمامة القَيْسيّ القَلْعيّ (ت567هـ): "**وله تصانيف**"؛ تاريخ الإسلام، ج12، ص381؛ وقول الغبريني عن أبي علي المسيلي (ت580هـ): "**له المصنفات الحسنة**"، عنوان الدراية، ص 33-36.

98 الغبريني، المصدر السابق، ص55.